

[رد الشبه وتصحيح عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسنته]

[د. نعمات محمد الريح عبد القادر]

[أستاذ الدعوة المساعد - قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية]

ملخص البحث:

يتحدث البحث عن قيمة الحوار في الإسلام ، وكيف طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد الصحابة رضوان الله عليه في ادارة حوار ناجح ومحقق لغايته ، ثم تم استعراض الشبهات التي تثار حول الإسلام بصورة عامة وحول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة ، فقد لازمت الإسلام منذ صدر النبوة وتفنن القرشيين من المشركين في الإساءة والتنكيل ، ثم تواتر سنة إثارة الشبهات وأخذت اشكالاً حديثة ، فأثير موضوع تعدد زوجاته وكثرتهن وفهمهم على أنه شهوانية محضة وما ورد في رد هذه الشبهة يصلح كمادة دسمة لتوضيح الحقائق والحكم من ذلك واذا تحلى الدعاة والمسلمين المحبين لرسولهم بسعة الصدر ومعرفة فن إدارة الحوار ، لجلب ذلك للإسلام خيراً كثيراً ، أما ما تبناه بعض الكتاب والفنانين من تسخير مواهبهم من تأليف للكتب وتنفيذ الرسومات وإخراج الأفلام ثم مروراً بإحراق المصحف من أناس ينتمون للكنيسة في الإساءة للإسلام ونبيه الكريم ، فلم يكن شرأ كله فقد نبه الغافلين من المسلمين- خاصة الذين يعيشون في مجتمعات المسيئين - نبههم الى ما يحاك ضد دينهم ولأن التحديات تشحذ الهمم فقد هب المسلمون واستيقظت غيرتهم على معتقداتهم ، فكانت ردة فعلهم عنيفة وتعبيرهم شجاع وجريء ، وجعلت كثير من العقلاء سواء أكانوا حكومات أو أفراد يقفون معهم بإدانة هذا الجرم الشنيع ، لكن يظل في الوقت نفسه إصرار المتعصبين ضد ديننا وقيمنا يدرجون الأمر داخل إطار حرية التعبير ، وهذا يتطلب منا تفعيل ملكة الحوار عند كل واحد منا واستغلال الحدث لصالحنا .

Abstract:

The research talks about the value of dialogue in Islam, Since the beginning of the prophet hood and the perfection of the polytheists among the polytheists, then the year of raising suspicions and taking on modern forms, the issue of polygamy and the multiplicity of their wives and their understanding was raised as pure sensuality, and what was mentioned in the response to this suspicion is suitable as a heavy material to clarify the facts and the ruling of that, and if the preachers and Muslims who love their Messenger Sadr's capacity and knowledge of the art of managing dialogue, As for what some writers and artists have adopted in terms of harnessing their talents, such as writing books, executing drawings, producing films, the burning of the Qur'an by people belonging to the Church in offending Islam and his honorable Prophet, as he alerted the heedless of Muslims - especially those who live in abusive societies - alerted them to what It is woven against their religion and because the challenges sharpen their enthusiasm, so Muslims rose and their jealousy awakened to their beliefs, so their reaction was violent and their expression was courageous and bold, and it made many rational people, whether they were governments or individuals who stand with them by condemning this heinous crime, but at the same time the insistence of fanatics against our religion and our values remains included.

مقدمة البحث :

إن كثير من سور القرآن الكريم تبدأ بكلمة قل ، وهذا أمر رباني بتبليغ الآخر وبدء الحوار معه ، ودلنا القرآن الكريم وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم على أن أمضي فاعلية للمسلم في حوار مع الآخر هو قناعته واعتزازه بما عنده من بضاعة ، وليس أمضى من سلاح التزود بأحسن ملكات للتواصل مع الآخرين وبالتحلي بكل الصفات التي تجعل منه محاوراً حاذقاً ، وهذا ما أكرم به الله سبحانه وتعالى حبيبنا النبي صلى الله عليه وسلم ونعته بأنه على خلق عظيم ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحترم شرائع غير المسلمين ويعطيهم حق الاختيار بعد توضيح دعوته ، كما أنه كان يتقن فنون الأخذ والرد في الكلام ، وكان يتحلى بالصبر والمثابرة وتخير الأحسن من القول ، وكان يراعي بذل المودة وحسن المعاملة والتأدب مع الأكبر والتواضع مع الأصغر سناً ، إن الإسلام يرى في تعدد الشرائع والملل والثقافات والحضارات سنة من سنن الله تعالى ونظاماً كونياً لا تبديل له ولا تحويل ، وذلك ليأخذ الحوار مكانه بين الدعاة ، يجي تخطيط اليهود والنصارى وكل أعداء الإسلام للنيل من هذا الدين الخاتم المكتوب له السيادة باذن الله تعالى ، من أبرز الشبهات التي يركزون عليها تعدد زواجه ، بالنقاش والحوار يمكن أن نكسب مؤيدين جدد للإسلام أو على الأقل تحييد من كان يجهل الحقائق في تلك الشبهات ، ونفسد خططهم الرامية الى تشكيك المسلمين في سيد البشر الرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وتحصين أبنائهم النصارى ضد الدخول في الإسلام بتشويه صورته صلى الله عليه وسلم .

مشكلة البحث :

التطاول والجرأة في الإساءة لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ، واستباحة مقدسات الإسلام ، والاستهانة بقوة المسلمين وتمسكهم بدينهم ، ورد المسلمين على ذلك بالانفعال والعنف .

تساؤلات البحث :

- 1/ هل الإساءة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم مخططة من قبل جماعة ؟ أو مؤسسة معينة ؟ أم أنها عمل فردي بدافع ذاتي ؟
- 2/ هل كانت ردة الفعل لدى المسلمين متناسبة مع حجم الإساءة ؟ وهل كانت أكبر من توقعات الفاعلين ؟
- 3/ هل استفاد الدعاة من هذا الحدث وتوظيفه لصالح الإسلام ؟

فرضيات البحث :

- ❖ مهما بعد المسلمون عن دينهم فإنهم لا يجاملون في الاعتداء على رسولهم صلى الله عليه وسلم ومقدساتهم .
- ❖ الحوار هو أمضى سلاح في التعامل مع أعداء الإسلام .

❖ يعتمد الدعاة والمسلمون الغيورون على اعتماد الحوار في الدفاع عن نبينا صلى الله عليه وسلم .

أهمية البحث :

تتمثل أهمية البحث في أن موضوعه من المواضيع التي تعد من الخطوط الحمراء بالنسبة للمسلمين ، الا وهي التعرض لشخصية رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن المقدسات لم تكن لتقحم في الصراعات والخلافات السياسية بين الدول والمؤسسات ، وعليه لا بد من التصدي لهذه الظاهرة حتى لا تصبح من المباح المؤلف .

محددات الدراسة :

الدعاة والامة المسلمة بصورة عامة ، أعداء الإسلام المسيئين بصورة خاصة .

مصطلحات البحث وتعريفاتها :

أ/ أثر :

ما بقي من رسم الشيء .¹ الأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء ، والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء . وأثر في الشيء : ترك فيه أثراً.²

ب/ حوار :

حوار بفتح الحاء وحوار بكسرهما ، ومحاورة وحويراً ومحورة بضم الحاء بوزن مشورة أي جواباً .
والمحاورة : المجاورة .، والتحاور : التجاوب . وتقول : كلمته فما حار الي جواباً ، وما رجع الي حوياً ولا حويرة ولا محورة ولا حوار أي ما رد جواباً . والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة ، وقد حاوره والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة .³

حاوره محاورة وحوار جاوبه وراجعه في الكلام ، وتحاور القوم تجاوبوا وتراجعوا الكلام بينهم .⁴

ج/ دفاع :

¹ البستاني . بطرس ، 1987م ، محيط المحيط ، بيروت : مكتبة لبنان ، ص3 .

² ابن منظور . محمد بن مكرم ، 2003م - 1424 هـ ، لسان العرب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 4 : 6 .

³ ابن منظور . محمد بن مكرم ، 2003م - 1424 هـ ، ص255 .

⁴ البستاني . بطرس ، 1987م ، ص202 .

الدفع : الإزالة بقوة ، دفعه يدفعه دفعاً ودفاعاً ودفاعه ودفعه فاندفع وتدافع وتدافعوا الشيء : دفع كل واحد منهم عن صاحبه . وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضاً . ودفع فلان إلى فلان شيئاً ودفع عنه الشر على المثل . ودافع عنه بمعنى دفع .⁵

دفعه يدفعه دفعاً ومدفعاً نحاه بقوة وأزاله ، وقيل الدفع صرف الشيء قبل الورود ، كما أن الرفع صرف الشيء بعد وروده - دفع عنه الأذى حماه منه . ودفع القول رده بالحجة - دافعت عن الرجل انتصرت له وحاميت عنه ، واندفع في الحديث أفاض .⁶

د/ المجادلة :

اللدد في الخصومة والقدرة عليها . والجدل مقابلة الحجة بالحجة .⁷ تنقسم المجادلة الى قسمين : مجادلة بالحسنى ومجادلة بالشدّة ، فالأول مطلوب والثاني مرفوض ، والمجادلة بالحسنى يجب تطبيقها والحرص عليها خاصة مع أهل الكتاب (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)⁸ (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)⁹

وبناء على تعريف المفردات السابق سوف نعتمد التعريف التالي في الموضوع الذي نحن بصدد دراسته : هو الرسم الذي نجده بموجب الحديث الذي نجره مع الآخر ومراجعة الكلام بقصد الحماية للرسول صلى الله عليه وسلم ودفع الأذى عنه صلى الله عليه وسلم .

منهج البحث :

وصفي تحليلي .

أ/ مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

إن ما صاحب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن حملت به أمه واختلاف حملها ويسره مقارنة مع رصيفاتها ، وما صاحب مولده صلى الله عليه وسلم من علامات غير طبيعية في عرف البشر ، ثم نشأته في البادية وظهور كثير من المعجزات له ولأسرة مربيته حليلة السعدية ، ثم تميز شبابه مع أقرانه وامتهانه التجارة واشتهاره

⁵ ابن منظور . محمد بن مكرم ، 2003م - 1424 هـ ، ص 103 .

⁶ البستاني . بطرس ، 1987م ، ص 284 .

⁷ ابن منظور . محمد بن مكرم ، 2003م - 1424 هـ ، مادة جدل .

⁸ سورة العنكبوت : الآية 46

⁹ سورة النحل : الآية 125

بالأمانة كل ذلك يعد مادة دسمة للدفاع عنه وأنه مرسل محروس لدى الله سبحانه وتعالى ، وأنه ليس بالشخص العادي وهذا مثبت في كتابات بعض المستشرقين والملحدون المنصفين .

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، والنبي صلى الله عليه وسلم من ولد إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء عليه السلام وهم من بطن هاجر بنت رقيون ملك مصر ، وكانت رفيعة المكانة ، وأمها آمنة بنت وهب رئيس قبيلة بني زهرة ونسبه يتصل بفهر الملقب بقريش .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمّه من بطون العرب ومن أحسن قبائلهم ، ولد نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين 9 ربيع الأول عام الفيل 571 هـ الموافق 22 ابريل 628م في مكة المكرمة وكان وحيد أبويه وقد توفي والده قبل ولادته .

يقول القس الفرنسي لوازون في محاضرة له عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : (أواخر جميع الأنبياء كما يعتقد المسلمون هو محمد الذي ولد في مكة لعشر ليال مضت من إبريل سنة 570 للميلاد ، وكانت عائلته أشرف عائلة في قريش ، وهي إحدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب ، وصاحب النسب المرتقي إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وقد كان جده متولياً سدانة الكعبة ، وكانت دار حكومتهم ، معبد ديانة العرب الوثنية ، وتوفي والده قبل ولادته ، وتوفيت أمه وهو ابن ستة أعوام ، وكان على أعظم ما يكون من كرم الطباع وشريف الأخلاق ، ومنتهى الحياء ، وشدة الإحساس ، وقد كفله جده وهو ابن ست سنوات وأثناء كفالته بدأت تظهر من محمد علامات الذكاء ورجاحة العقل ، ومر بصبيان يلعبون فدعوه للعب معهم ، فأجابهم أن الإنسان خلق للأعمال الجليلة ، والمقاصد الشريفة ، لا للأعمال السافلة والأمور الباطلة ، وكان على خلق عظيم ، وشيم مرضية ، شفوفاً على الأطفال ، مطبوعاً على الإحسان ، غير متشدد في نفسه ، ولا صلف في معاملته مع الناس ، وكان حائزاً قوة إدراك عجيبة ، وذكاء مفرط ، وعواطف رقيقة شريفة .¹⁰

لقد دلت الدراسات الإسلامية لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أن علامات النبوة قد رافقته منذ ولادته ، وأن بعضاً من تلك الدلائل كانت سابقة على ميلاده ، وتستدل على أنه سيكون للعرب نبيهم المرتقب ، ويعرف النصراني بهذه الحقيقة لأنها ذكرت في كتبهم قبل التحريف ، ولعظمته صلى الله عليه وسلم يتابع أخباره وتاريخه القساوسة والمسيحيون ، ويعترف بخصاله الحميدة كل منصف وإن اختلف معه في الاعتقاد .

ب/ علامات النبوة في مولده :

ليس هذا بالأمر العجيب ، إذ كانت نبوة الرسول قديمة قدم الخلق ، يقول عليه الصلاة والسلام : " كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد "¹¹ وفي رواية ثانية للرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث فيها عن قدم رسالته

¹⁰ دون مؤلف . د . ت) ، طفولة الرسول ودلائل النبوة ، رسول الله ، www.rasoulallah.net

¹¹ الترمذي . محمد بن عيسى ، سنن الامام الترمذي ، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في فضل

ودلائل نبوته حين رأت أمه يوم مولده نوراً أضاء قصور الشام بقوله صلي الله عليه وسلم : " إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بتأويل ذلك ، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك أمهات النبيين يرين " ¹²

ولم يغب على بال المستشرق والوزير الروماني كونستانس جيورجيو (المولود عام 1916) في كتابه : (نظرة جديدة في سيرة رسول الله) ، أن يذكر أن السيد المسيح قال لحواريه حسب رواية في إنجيل يوحنا : إنه سيأتي بعدي شخص يقويكم ويحميكم وإنه سيرسل إليكم (باركلت) لأنني لن أدعكم يتامى ، وقد أعلن المسيحيون بعد صعود السيد المسيح أن (باركلت) هو نفسه روح القدس . يقول جورجيو : (ويرى المسلمون أن النصراري حرفوا كلمة السيد المسيح ، لأنه قال انه سيأتي بعدي " بريكلي توس " ومعناها باليونانية (أحمد) وهو بمعنى (الممدوح) . وهو اسم نبي المسلمين . و (محمد) معناها الأكثر مدحاً . ويروى أن اليهود ذكروا هذه الكلمة " بريكي تول " ويعلمون أن السيد المسيح سيخلفه (أحمد) ، لأن اليهود (والعهد على الرواية) ليلة ولادة رسول الله صلي الله عليه وسلم اضطربوا كثيراً ، وتخوفوا من وضع آمنة ¹³

و تذكر كتب السيرة الإسلامية والحديث أن اليهود اضطربوا يوم مولد الرسول صلي الله عليه وسلم ، ففي رواية لأم المؤمنين عائشة أنها قالت : " كان يهودي قد سكن بمكة فلما كان الليلة التي ولد فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لا نعلم قال : انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة ، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد المطلب غلام ، فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم ، فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه وقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب " ¹⁴

ج/ طفولته في بادية بني سعد :

لقد كان لطفولة الرسول صلي الله عليه وسلم في بادية بني سعد أثرها على بنيته الجسدية ومستقبلاً على تحوله الفكري ، فقد تكون في تلك البادية استعداداته للتأمل الفكري منذ نعومة أظفاره يقول المستشرق الفرنسي الفونس اتين دينيه في كتابه : " محمد رسول الله " : (هذه الصحة الأخلاقية والجسمية التي يدين بها إلى البادية ، ساعدته كثيراً على تحمل ما ابتلي به بعد من محن ، كان محمد يحب إعادة ذكريات تلك الفترة ، كثيراً ما كان يقول : " إن من نعم الله علي التي لا تقدر ، أني ولدت في قريش أشرف القبائل ، وأنني نشأت في بادية بني سعد ،

النبي صلي الله عليه وسلم ، حديث رقم 3968 .

¹² ابن حبان . محمد بن حبان ، صحيح ابن حبان ، حديث رقم 6404 ، 14 : 313 .

¹³ دون مؤلف . د . ت) ، طفولة الرسول ودلائل النبوة ، رسول الله ، www.rasoulallah.net

¹⁴ النيسابوري . محمد ، 1418هـ - 1998م ، المستدرک علی الصحیحین ، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین ، ذکر أخبار سيد المرسلین

صلي الله عليه وآله وسلم ، إخبار اليهود بولادة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ، حديث رقم 4177 .

أصح المواطن بالحجاز " وقد بقيت منطبعة في نفسه صور البادية التي كانت أول الأشياء تأثيراً في حسه عندما كان يسرح فيها مع الرعاة فيتسلق شرفاً ليلاحظ القطعان في مراعيها.¹⁵

وتتحدث كتب الحديث والسيرة عن دلائل النبوة التي ظهرت له أثناء طفولته في بادية بني سعد التي ترويه حليمة السعدية ، حين حضرت إلى مكة مع نساء عشيرتها للتماس تربية أطفال أشرف مكة حسبما درجت عليه الطبقات الأرسطراطية التي تعهد بأبنائها للمراضع من القبائل البدوية لتنشئهم التنشئة الصحية في أجواء البادية ، ومن جهتهم نقل المستشرقون ممن دونوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن تلك الكتب بما يخص طفولة الرسول ودلائل النبوة.¹⁶

كان صلى الله عليه وسلم على استعداد للتأمل والوحدة لم يكن لينسجم مع أخلاق أقرانه الصاخبة ، فكان يفضل اعتزالهم في ألعابهم ، ويذهب وحيداً حيث الهدوء والسكون .

تأصيل الحوار :

هوأن يتناول الحديث طرفان أو أكثر بغرض النقاش في موضوع محدد وذلك بطرح الأفكار أو بالسؤال والجواب أو بكل ذلك معاً ، بغية الوصول الى نقاط للتقارب الفكري أو لدحض شبهة أو ايضاح معلومات ، سواء اتفق المتحاوران على نتيجة معينة أم لا ، وقد زخر القرآن الكريم بكثير من الآيات التي توضح كثرة الحوار الذي حدث بين الله سبحانه وتعالى وملائكته الكرام ، ثم بين الملائكة والرسول عندما نزل جبريل لأول مرة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك بين الرسل وأقوامهم ، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)¹⁷

أهمية الحوار في الاسلام :

- أمر من الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)¹⁸ (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)¹⁹

دبنيه . ايتين ، 1958م ، محمد رسول الله ، ترجمة د. عبد الحلیم محمود ومحمد عبد الحلیم محمود ، مصر : نهضة مصر ،¹⁵

ص335 .

¹⁶ دون مؤلف . د . ت) ، طفولة الرسول ودلائل النبوة ، 6 ص ، رسول الله ، www.rasoulallah.net .

¹⁷ سورة النحل : الآية 125

¹⁸ سورة النحل : الآية 125 .

¹⁹ سورة العنكبوت : الآية 46

- من أساليب ومناهج الرسل
- من أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم سورة المجادلة - ورقة بن نوفل - وفد نجران - الشاب والزنا حتى يصل الحوار إلى أهدافه المنشودة لا بد من توفر شروط وآداب وصفات لدى المحاور:

- ❖ المعرفة التامة بالموضوع
- ❖ العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
- ❖ حكيماً في تحاوره
- ❖ أن يحاور في المسائل الواقعية
- ❖ أن يقبل الحق أياً كان مصدره
- ❖ عدم الاستعجال للنتائج
- ❖ سرعة البديهة وعدم الاستجابة للاستفزاز
- ❖ التوقف بمجرد الوصول إلى الإقناع
- ❖ البعد عن الألفاظ النابية

عوامل نجاح الحوار :

التخطيط - استغلال الوقت - التفاؤل - العلم - الدعوة بالحسنى - الجدية - التسامح - التواضع - عدم التعصب

20

نحتاج الى ترسيخ ثقافة الحوار بين المسلمين بصورة عامو وبين الدعاة بصفة خاصة ، مما يوجد لدى معظمهم شيئاً من الوجل والتردد قبل الحديث في أي موضوع ولو كان بسيطاً وعادياً ، بفعل خلل في التنشئة الاجتماعية سواء من قبل الوالدين في الأسرة أو المعلمين في المدارس ، وبذلك تنشأ معهم عقدة التردد وعدم الثقة بالنفس ، وهنا نجد أنفسنا أمام مسؤوليات تربوية وتعليمية لا بد من علاجها ، لما تمثله من أهمية في صياغة أساليب الحياة للأجيال القادمة ، من خلال تنمية الوعي لدى الناشئين بضرورة التعود على الحوار ، والالتزام بالقيم والمبادئ الأساسية في العلاقات الإنسانية العامة، ومن هذه القيم والمبادئ إشاعة ثقافة الحوار مع الآخر ، ومنحها فرصة التعامل مع الآخر ، من خلال الحوار المتكافئ والانفتاح على معطيات العصر دون التخلي عن الثوابت ذات العلاقة بالهوية والانتماء، إن الكثير من الحواجز النفسية التي تحكم علاقتنا بالآخر تنجم عن سيطرة التردد والخوف والشك في ما قد تؤول إليه هذه العلاقة من نتائج سلبية ، وهذا السلوك هو نتاج إرث اجتماعي وتربوي متراكم تحكمت في مساره أساليب التربية الخاطئة ، ويعالج ذلك من خلال تنمية ملكة الثقة بالنفس منذ سن الطفولة فذلك كفيل بأن يثري عقول الناشئين بأهمية القدرة على تجاوز كل العقبات التي

20 حمد النيل . يوسف ، 1424هـ - 2003م ، عوامل نجاح الداعية ، الخرطوم ، دار الاصاله للصحافة والنشر والانتاج

الاعلامي ، ص19 .

قد تعترض طريقهم في المستقبل حين التعاطي مع الآخر في أي شأن من شؤون الحياة ، في عصر لم يعد من الممكن لكائن من كان أن يعزل نفسه عن الآخرين ، والتخلص من وهم التفوق بدون اجتهاد ذاتي .

وفي غياب الحوار نفقد فرصة ان نقدم مزايا ديننا الحنيف وعظمة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، ويترتب على ذلك ضياع فرص عظيمة في كسب مسلمين جدد او متعاطفين مع الاسلام وان لم يعتنقوه ، وهذا التقصير في نصرة اسلامنا قد يدخلنا في دائرة الائم .

الرسول صلى الله عليه وسلم سيد المحاورين

حينما زجر مريد الزنا

حصد موقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي استأذنه للزنا جُملاً من المعاني والعبّر التي تليفت انتباه كل ذي لب ، لكي يتقّمص تلك الدُرر والخطوات التي تجعل المرء برتبة سامية في تفكيره وعلاجه للمشكلات الطارئة ، التي تطرأ على الناصح أو الراعي كما طرأ موقف هذا الشاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ! فرق بين موقف الرسول وأساليبه وخطواته مع الشاب وبين موقف من كان في حضرة هذا الموقف الذين اكتفوا بالزجر ليس إلا : عن أبي أمامه قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم .. فقال : يا رسول الله ! ائذن لي بالزنا ! فأقبل القوم عليه فزجروه .. وقالوا له مه ! فقال : إِدْنُه ، فدنا منه قريباً ، قال : فجلس . قال أتُحِبُّه لأُمكنك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأُمهاتهم . قال : أفتُحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أتُحِبُّه لأُختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال أتُحِبُّه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال أتُحِبُّه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه ، وقال : اللهم ! اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحسن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . صححه الألباني ..

أولاً .. لتأمل رحابة صدر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أن هذا الذي يريد المعصية ذهب بنفسه لمحمد صلى الله عليه وسلم لكي يستأذنه ويخبره بما يكن صدره ، وهذه همسة لمن يقوم على توعية الناس ، ومن ولّاه الله رعيّة استرعاه الله عليها ! (لماذا الابن أو البنت لا يلجئون للأب أو الأم عند الوقوع في الذنب أو الخطأ ؟ لماذا بعض أئمة المساجد والخطباء والناصحين لا يبادر إليهم الناس لعلاج مشاكلهم الخاصة والبحث عن تجاوز أخطائهم التي يقعون فيها ؟ لماذا الطلاب أو الطالبات يشعرون في بعض الأحيان بالحواجز المنبوعة بينهم وبين المعلمين والمعلمات ؟) ..

أسئلة كثيرة ينبغي أن نطرحها على أنفسنا من أجل أن نتمتع برحابة الصدر التي تجعلنا نتعاون على تجاوز أخطاء من هم بحاجة إلينا بشكل مباشر .

ثانياً .. جاء الشاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهمُّه الوحيد أن يقضي شهوته في كل وقت ، حيث كسر حاجز الحياء عندما طلب الإذن من رسول الله في حضرة من كان جالساً مع محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يفيدنا بأن الشاب مهما ساءت إرادته وقبح فعله فإنه يتميز بجوانب أخرى تجعل المرء يتوازن في التعامل معه ومراعاة شعوره عند خطأه ، وما موقف الرسول مع شارب الخمر الذي تكرر مجيئه على الرسول ببعيد عنا حينما قال لا تسبوه ، فو الذي نفسي بيده إنه يحب الله ورسوله ، فهذا الشاب ما جاء إلى رسول الله إلا لشدة خوفه من المعصية ولذلك قال : ائذن لي في الزنا !

ثالثاً .. تأمل كيف حكّم الرسول عواطفه وعقله في تعامله مع المخطئ ، على الرغم من ردة فعل القوم حينما زجروه ، وهذا يشير إلى أن المصلح لا يتأثر بالجو المحيط عند حصول الخطأ لكي لا يقع في أخطاء عدة ، بل يتأنى ويدرس حالة المخطئ من جميع الجوانب ، ومع زجر القوم لهذا الشاب يصمت الرسول صلى الله عليه وسلم ويشير إليه (ادنه) أي أقرب مني !

رابعاً .. تصور موقف هذا الشاب مع الجو الذي يعج بالزجر من الحاضرين ، ثم تصور موقفه حينما دعاه الرسول للقرب منه ! قرّبه صلى الله عليه وسلم ليشعره بالأمان ! قرّبه صلى الله عليه وسلم لكي يضمّد جراح الزجر ويبعده عن ضجيجه ! قرّبه صلى الله عليه وسلم لكي يبلغه الرسالة والنصح والتي هي أحسن! هذا هو الحبيب يشير إلينا أن نهى المخطئ تهيئة نفسية لكي يقبل الصواب، لأن بعض المرين لا يفقه أساليب جذب المخطئ التي تجعله يقلع عن خطأه! وحال بعض بني البشر حينما يقابلون المخطئ ينهجون الصراخ والسباب والضرب قبل التفاهم والحوار ، وهذا دأب العاجزين الذين يستثقلون صاحب الخطأ عند خطأه ، إنه لا يذهب عن مخيلتي بعض معلمينا الذين واجهوا الطلاب حال حصول الخطأ بالعبوس والفضاضة والضرب والشدة والجر ! ولا يغيب عن ذهني بعض الناصحين الذين يستغلون المخطئ لأغراضهم الذاتية ، وإضعاف شوكتهم بالنظرات المتكلفة ! أسلوب تقريب الرسول للمخطئ أسلوب تربوي يحوي جملاً من العبر والمعاني التي ينبغي أن يسلكه كل مربي مع المخطئ .

خامساً .. ماذا كان حال المخطئ حينما طلب منه الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرب منه ؟ الاستجابة مباشرة ! لماذا ؟ لأنه شعر بالأمان الذي يجعله يقرب من غير تردد ، فأساليب الرسول مغناطيساً لهذا الشاب الذي قرب منه فوراً بعدما طلب قربه ! إنه حينما يقرب منّا المخطئ مباشرة عند طلبنا بذلك فإننا نقطع شوطاً ليس بالهين في تهيئته لتغيير خطأه ، وحال بعض المخطئين عندما يُطلبون من المعلمين والآباء هو الكرُّ والفرُّ ، لماذا ؟

سادساً .. (فجلس) وهنا تكتمل تهيئة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهذا الشاب التهيئة النفسية الكاملة لكي يبدأ في مشواره الذي يعدله عن قناعاته وحبّه للزنا .. إن تهيئة الرسول أمر ضروري يستخدمه في أساليبه مع المسترشد أو المخطئ ، وتهيئته للشاب الذي يريد الزنا ليس موقف وحيداً في أساليبه بل إن سيرته تزخر بذلك ، فمعاذ بن جبل أراد الرسول أن يعلمه بأن لا يدع في دبر صلاته اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن

عبادتك فكانت تهيئة الرسول ب (والله إني أحبُّك) ثم أخبره بالحديث ! وعلم الرسول ابن مسعود - رضي الله عنه - التشهد بعد ما قبضَ محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - يد ابن مسعود بيده اليمنى ثم وضع يده اليسرى عليها ! ونعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل كانت تهيئة وبداية انطلاقة لابن عمر رضي الله عنه !

سابعاً .. احتوى هذا الموقف المربي رصيذاً عاطفياً بالحال واللسان من قبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع هذا الشاب ، فبالحال (ادنه) ، (فدنا منه قريباً) ، (فجلس) . أما اللسان (أتعبه لأملك) ، (أتعبه لابنتك) ، (أتعبه لعمتك) ، (أتعبه لأختك) ، (أتعبه لخالتك) ! ان الحديث العاطفي في بعض المواقف يكون مفتاحاً مهماً للإقناع ، إذ أن هذه البداية من الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الأسلوب تدل على فقه الرسول بحال المخطئ !

ثامناً .. وضع حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - يده على صدره حينما دعا له ، وهذا يشير إلى معجزته صلى الله عليه وسلم بشفاء الشاب مباشرة حينما وضع يده على صدره ، ومع ذلك فإن وضع يده على صدره تعتبر لمسة نفسية تشفي الرغبة التي كانت تتحدث بها نفسه عن هذه الجريمة ، وهذه من الوسائل التي استخدمها محمد عليه الصلاة والسلام في تضميد جراح هذا الشاب وغيره ، حتى أن الرسول ضم الحسن على صدره بعد ما قال له اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه كما في صحيح مسلم ، وأصاب سعد بن أبي وقاص بعد الفتح مرض شديد ، فعاده النبي فدعا له ووضع يده على صدره وقال : اللهم اشفِ سعداً ! قال سعد في أواخر حياته : فو الله ما زلت أجد برد يده عليه الصلاة والسلام علي صدري حتى اليوم . !

تاسعاً .. لعلنا لا حظنا استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب الإقناع الذي يعتبر هو القوة الخفية أثناء التوجيه ، وعندما تتأمل حال الرسول في الحديث تجد بأنه نهج أسلوباً من أساليب الإقناع (قال أتعبه لأملك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمھاتهم . قال أفْتعبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أتعبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال أتعبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال أتعبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

عاشراً .. حرص الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبتهل إلى الله بصلاح هذا الشاب ، فقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ! ونلاحظ من هذا الموقف وهذا الدعاء ، هو سماع الشاب لهذه الدعوات ، فلا شك بأنك عندما تسمع أحداً يدعو لك ، إن هذا مؤشراً لمحبتك وقبولك من لدن الآخر ، فماذا نتصور حينما يسمع منا المخطئ بالدعوات الزاكيات الطيبات !!

أخيراً .. فقه الرسول بحال المخطئ فقد أوجز وأبلغ في وقت يسير ، حيث لم يتكلف ذكر الأدلة الموجودة في القرآن ، ولم يذكر العقوبة المترتبة على ذلك ، ولم يحصل التوبيخ أو التحذير ، بل عالج ذلك بكلمات يسيرات بأساليب راقية جعلت هذا الشاب يخرج من عند الرسول الله عليه وسلم والزنا أبغض شيء لديه

!لنتأمل تعدد وسائل اهتمام محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الشاب في هذا الموقف القصير .. طلب قلبه !
 أجلسه بجواره! حدثه بالكلمة الطيبة ! هز عاطفته ! أقنعه ! ألان كلمته! وضع يده عليه ! دعا له .²¹

الصحابة والحوار :

خطاب جعفر بن أبي طالب وقوة الحق في حضرة النجاشي :

كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو سيد المحاورين مالكي لباب اللغة ، كذلك كان صحابته يجيدون الكلام ومقارعة الحجّة بالحجة وتوظيف الفرص المواتية لنصرة الدين وحماية المسلمين ، فها هو سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى نجاشي الحبشة طلباً للحماية ونصرة الدين ، فجاء خطابه مرتباً متسلسلاً فبدأ بوصف حالهم قبل الإسلام من الجاهلية والصفات القبيحة ، ثم مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفتهم له من شرف النسب والصدق والأمانة ، ودعوته الى التوحيد وترك عبادة الأوثان والطيب من الصفات والأقوال ، ويبين أنهم بعد أن آمنوا به تصدى لهم قومهم بالتعذيب والتنكيل ، وصور التعذيب والابتلاء تستهوي قلوب النصارى كثيراً ، فهي تذكرهم بالحوارين الذين عذبوا من قبل ، وبالذين كانوا يفتنونهم عن دينهم بأبشع الأساليب ، بل تذكرهم بصورة المسيح عليه السلام . وهكذا سيطر جعفر تماماً على مشاعر النجاشي ، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله ، وقد ختم رضي الله عنه بيانه بمقطع سياسي حكيم قال فيه: " فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألاّ نظلم عندك أيها الملك ، وعندما سأله النجاشي أن يسمعه بعض مما أنزل على نبيهم اختار رضي الله عنه صدر سورة مريم التي تتحدث عن سيدنا عيسى وزكريا ويحي عليهم السلام .

لم يتحمل النصارى أثر تلك الكلمات المعجزة ، فما تمالكوا الا أن انهمرت دموعهم غزيرة فياضة ، وبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته ، وبكى الأساقفة ، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال: "إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية : عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة "، وإن هذا ليعد إقراراً منه بصدق الرسالة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق جعفر ومن معه ، ثم التفت إلى عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة وقال لهما: "انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً".

وبهذا يكون الوفد الإسلامي قد نجح أعظم نجاح ، ولم ينجح في إقناع عقل النجاشي وأساقفته فقط ، بل تعدى ذلك حتى وصل إلى قلوبهم ، وكانت هذه الجولة بكاملها في صف المؤمنين ، وهُزم سفيرا قريش هزيمة منكرة ، وذلك في أول تجربة لقريش مع المؤمنين على أرض محايدة.²²

عبد الله بن سعيد آل يعن الله . 22 / 12 / 1429 هـ ، حينما زجر مريد الزنا ، صيد الفوائد ، 21

<http://www.saaaid.net/Doat/abdullah/79.htm>

22 ابو فارس . محمد عبد القادر ، 1418هـ - 1997م ، السيرة النبوية ، الاردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ص43.

الشبهات :

ترجع بدايات انتقاد مبادئ الدين الإسلامي وبالتحديد انتقاد شخصية الرسول محمد بن عبد الله إلى بدايات ظهور دين الإسلام في مكة ، واستناداً إلى القرآن والسيرة النبوية فإن أول الإساءات الشخصية إلى الرسول محمد قد وجهت له من قبل أقاربه وأهل مدينته مكة الذين كانوا يستعملون الأوثان وسيلة للتقرب من خالق الكون الذي كان معروفاً في الجزيرة العربية باسم الله ، يرى المسلمون أن الطعون في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تعني بذلك الطعون في الدين الإسلامي ، لإيمانها بوجود محبة محمد عليه الصلاة والسلام أكثر من النفس ، وتعني الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هي الإساءة إلى جميع المسلمين .

المحاولات السلبية من العدو في مواجهته صلى الله عليه وسلم :

1/ السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب قصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بتهم هازلة وشتائم سفينة .

2/ تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة .

3/ معارضة القرآن الكريم بأساطير الأولين وإشغال الناس بها عنه .

4/ مساومات حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك

المشركون بعض ما هم عليه ، ويترك النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما هو عليه .²³

وهذه النماذج نذكرها لأنها تتكرر مع الدعوة في كل جيل والجماعة المسلمة في حاجة الى التعرف على هذه المحاولات ، حتى لا يفت في عضد الدعاة وهم ينالون أنواع الحرب النفسية من الاستهزاء والسخرية ، يتهمونهم في عقولهم أنهم رجعيون جامدون ومتعصبون متخلفون وأنهم ينتمون إلى عصر الجمل والخيام والصحراء ، بل يتهمونهم بالتخلف العقلي وقد أنهم نبينا صلى الله عليه وسلم من قبل بالجنون والكذب وأنه ساحر .

والنوع الآخر الذي يتلقاه الدعاة من أعدائهم هو تشويه المبادئ وتقديمها بأسوأ صورة للناس ، خاصة ووسائل الاعلام تقدم سموماً حول هذا الدين ، وفي أحسن الأحوال يقدمون الإسلام على أنه صالح في مرحلة سابقة من التاريخ ، وأنه قدر الأمة العربية فيما مضى ، أما اليوم فالعصر عصر القوميات والاشتراكية العلمية والتقدمية والديمقراطية ، والإسلام قد أدى دوره وانتهى ، والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى الانتباه والحوذر من هذه الأساليب في الحرب التي تشن عليهم من أعدائهم للنيل من رموزهم ودعوتهم ودينهم وإسلامهم ،

²³ المباركفوري . صفي الرحمن ، 1422هـ ، الرجيق المختوم ، السعودية : اولي النهي للانتاج الاعلامي ، ص 94 .

فالحرب اليوم على الإسلام تنصب على تجسيد الشر والباطل وتمجيده ، والنيل من الخير والحق وطمسه وتشويه معالمه ، فبالوعي والحكمة تجهض هذه الحرب الضروس بإذن الله تعالى .²⁴

الشبهات المعاصرة :

تعدد زواجه :

كذلك يركزون على زواجه من السيدة عائشة رضي الله عنها والمقارنه بين الفارق الزمني بينهما ، وليس من العقل أن تحاكم أعراف حدثت في بيئة تدين بأعراف معينة وبفارق زمني كبير جداً ألف وأربعمائة سنة ، لتخرج بحكم مستنداً على بيئة وزمن ليس بينهما مقارنة البتة ، وإن كان هذا الحكم صحيحاً لما فات على قريش التي لم يكن أكثر حرصاً منها على العدا له صلى الله عليه وسلم ، فإن كان زواجه بالسيدة عائشة غريباً في ذلك الوقت لما ترددوا في توظيفه لإبعاد الناس عنه ، كذلك زواجه من السيدة زينب بنت جحش وغيرها من الشبه تحل بالحوار بعد تزويد الداعية بالحجج القوية المنطقية .

الرد على شبهة حول تعدد زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

قالوا إنه صلى الله عليه وسلم :

* تزوج زوجة ابنه بالتبني (زيد بن حارثة).

* أباح لنفسه الزواج من أى امرأة تهبه نفسها (الخلاصة أنه شهوانى).

اشتهاره صلى الله عليه وسلم بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الحرام للشهوة ، الثابت المشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر ، وحين رغب في الزواج لم يبحث عن " البكر " وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالى خمسة عشر عامًا ، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب ، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين ؛ وهي السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها . من خلال مباشرته لتجارتها . من أمانته وعفته وطيب شمائله صلى الله عليه وسلم . أنه صلى الله عليه وسلم بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله . وقضى معها - رضى الله عنها - زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلا إبراهيم الذى كانت أمه السيدة " مارية " القبطية . أنه صلى الله عليه وسلم عاش عمره بعد وفاتها - رضى الله عنها - محبباً لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهي مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته فيقول في بعض ما

²⁴ الغضبان . منير محمد ، 1427هـ - 2006م ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، مصر : دار الوفاء للطباعة والنشر

والتوزيع ، ص56 .

قال عنها: [صدقتني إذ كذبنى الناس وأعانتني بمالها]. بل كان صلى الله عليه وسلم لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها ، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضی الله عنها.

أما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:

أولاً: كان عُمُرُ محمد صلى الله عليه وسلم في أول زواج له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهي السن التي تنطفئ فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنياً ، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتي تركتهم خديجة - رضی الله عنها .-

وفيما يلي بيان هذا الزواج وظروفه.

الزوجة الأولى بعد السيدة خديجة : سودة بنت زمعة :

كان رحيل السيدة خديجة - رضی الله عنها - مثير أحزان كبرى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفافاً عليه من الوحدة وافتقاد من يرضى شؤونه وشؤون أولاده . ثم تصادف فقدانه صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب نصيره وظهره وسُمِّي العام الذي رحل فيه نصيره خديجة وأبو طالب عام الحزن .

في هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرضى شؤون الرسول وشؤون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب صلى الله عليه وسلم: [أجل كانت أم العيال وربة البيت] ، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك ؟.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ولكن - من بعد خديجة ؟! فذكرت له عائشة بنت أبي بكر فقال الرسول: لكنها ما تزال صغيرة فقالت : تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة ، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها صلى الله عليه وسلم بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفى عنها زوجها بمكة فلما حلت تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ، وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة .

وعجب المجتمع المكي لهذا الزواج لأن " سودة " هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلقةً لأُم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها جميلة وضيئة وحسيبة تطمح إليها الأنظار.

وهنا يمكن القول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة ، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قبّل الرسول زوجها حماية لها وجبراً ل خاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة.

وليس الزواج بها سعار شهوة للرسول ولكنه كان جبراً ل خاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفي زوجها وتركها تحتاج وبنوها إلى من يراهم .

الزوجة الثانية : عائشة بنت أبي بكر :

عائشة بنت أبي بكر الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن من آمن الناس علىّ في ماله وصحبته أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام..".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عاماً ليس بدعا ولا غريباً لأن هذا الأمر كان مألوفاً في ذلك المجتمع ، لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد صلى الله عليه وسلم - جعلوا من هذا الزواج اتهاماً للرسول وتشهيراً به بأنه رجل شهواني غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعاً في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات ، كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة ، لكن المستشرقين والمتمثلة قلوبهم حقداً من بعض أهل الكتاب لم تر أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء.²⁵

الزوجة الثالثة : حفصة بنت عمر الأرملة الشابة :

توفي عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمي وهو صحابي جليل من أصحاب الهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته في غزوة أحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهي شابة ، وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يوماً بعد يوم ، وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها..

بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبي بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب ، فيتزوجه عمر ويمضي إلى ذي النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض ، فتضيق به الدنيا ويمضي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره بما حدث فيكون رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه هو قوله: [يتزوج حفصة خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيراً من حفصة]²⁶.

²⁵ بنت الشاطي . عائشة عبد الرحمن ، 2007م ، تراجم سيدات بيت النبوة ، القاهرة : دار الحديث ، ص 250 .

²⁶ بنت الشاطي . عائشة عبد الرحمن ، 2007م ، ص 324 .

وأدركها عمر - رضى الله عنه - بفطرتة إذ معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته .

الزوجة الرابعة : أم سلمة بنت زاد الراكب :

من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . جاءت إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية " بزمن غير قصير ، سليله بيت كريم ، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب ؛ إذ كان لا يرافقه أحد في سفر إلا كفاه زاده ، وزوجها الذى مات عنها صحابي من بنى مخزوم ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وكانت هي وزوجها من السابقين إلى الإسلام .

الزوجة الخامسة : زينب بنت جحش :

لم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشدّ تبديلاً إلا لنفسها في العمل الذى تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل ؟ ²⁷ هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها- عن " ضرّتها " زينب بنت جحش ، أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا: أعجب محمد صلى الله عليه وسلم . وحاشا له - بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها .

والحق الذى يجب أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.. هو أن زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة . عادة التبني . التى هى فى الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها فى واقع الناس والحياة آثار غير حميدة .

ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت فى مجتمع الجاهلية تم اختيار بيت النبوة بل نبى الرسالة الخاتمة نفسه صلى الله عليه وسلم ليتم على يديه وفى بيته الإعلان العملي عن إبطال هذه العادة .

وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التى جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيراً للتشريع الجديد فى هذه المسألة و فى موضوع الزواج بزینب حيث تقول: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ²⁸ (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) ²⁹ (وَاذِ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

²⁷ صحيح مسلم كتاب الفضائل

²⁸ سورة الاحزاب : الآية 40

²⁹ سورة الأحزاب: الآية 5

وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)³⁰ مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب لم تكن وراءه أبدًا شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمرًا من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلًا من أصوله وتقليدًا مستقرًا فيه ، فكان السبيل لإبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم . وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهى به صهراتها وتقول لهن : " زوجكن أهاليكن وزوجني ربي من فوق سبع سموات " ³¹ أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معربًا عن رغبته في تطليق زينب ؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له.. ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه ؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبدًا . وهي الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا أنها أصبحت زوجًا لرجل كان رقيقًا عند بعض أهلها وأنه . عند الزواج بها . كان مولىً للرسول صلى الله عليه وسلم أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة ، فهو . وإن تبناه محمد صلى الله عليه وسلم وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكي ، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة ما يزال . كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع البشر .

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج ، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر ، وبات مهياً النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو زينب إليه كما جاء في البخاري من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له: [أمسك عليك زوجك واتق الله] ³² قال أنس: لو كان النبي كاتمًا شيئًا لكتم هذا الحديث ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول له كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها ، وزينب بنت جحش هي بنت عمه الرسول صلى الله عليه وسلم - كما سبقت الإشارة - وهو الذي زوجها لمولاه " زيد " ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه ، ولكنه لم يفعل.

فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعًا : لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه أمر قدي شاءه إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين في قضية إبطال عادة " التبني " التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك ، يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التي تعلق بالموضوع في سورة الأحزاب ، أما الجملة التي وردت في قوله تعالى : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه) ³³ فإن

³⁰ سورة الأحزاب: الآية 37

³¹ رواه البخاري (كتاب التوحيد 6108).

³² رواه البخاري (كتاب التوحيد).

³³ سورة الأحزاب: الآية 37

ما أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب . يوماً ما . ستكون زوجاً له ؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني .³⁴

الزوجة السادسة : جويرية بنت الحارث الخزاعية :

الأميرة الحسنة التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بني المصطلق (التي هي منهم) ، كانت ممن وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود في الغزوة المسماة باسمهم ، وكاتبها من وقعت في أسره على مال فذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها: " أو خير من ذلك ؟ . قالت: وما هو ؟ قال: أفضى عنك كتابتك وأتزوجك ، قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله . قال: قد فعلت " ³⁵ وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق وقائدهم في هذه الغزوة.. معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بني المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم تجسد في إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بني المصطلق وهم يقولون: أصحاب رسول الله ، فلا نبقيهم أسرى ، ومع أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج ، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين ، ويقولون: إنه نظر إليها. وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه . وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة - هو الذي حرك في نفسه صلى الله عليه وسلم عاطفة الرحمة التي كان يأمر بها بمن في مثل حالتها ويقول: [ارحموا عزيز قوم ذل] ، فرحمها وخيرها فاخترت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعزة من الناس ، على أن النظر شرعاً مأذون به عند الإقدام على الزواج ، وكما أمر به صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه عند رغبته في الزواج - قائلاً له: [انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] ³⁶ وقد توفيت في دولة بني أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهي في السبعين من العمر - رضى الله عنها .

الزوجة السابعة : صفية بنت حُيِّ . عقيلة بني النضير :

إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمة يهود بني النضير أمام المسلمين في الوقعة المسماة بهذا الاسم ، كانت من نصيب النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها : فماذا في ذلك ؟ ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعاً في ذلك ، وإنما كان موقفاً جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق ، فلم يكن هذا الموقف إعجاباً بصفية وجمالها ؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التي يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة في الحرب في حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن

³⁴ بنت الشاطيء . عائشة عبد الرحمن ، 2007 م ، تراجم سيدات بيت النبوة ، القاهرة : دار الحديث ، ص 354 .

³⁵ رواه البخارى : فتح البارى _ كتاب النكاح ، 14 .

³⁶ رواه البخارى ، كتاب النكاح ، 36 .

إسلامهن ، فقد فعل ذلك مع " صفية بنت حُيَيِّ " بنت الحارس عقيلة بنى النضير (اليهود) أمام المسلمين في الموقعة المعروفة باسم (غزوة بنى قريظة) بعد انهزام الأحزاب وردّهم مدحورين من واقعة الخندق.

الزوجة الثامنة : أم حبيبة بنت أبي سفيان نجدة نبوية لمسلمة في محنة :

إنها أم حبيبة " رملة " بنت أبي سفيان كبير مشركى مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، كانت زوجًا لعبيد الله بن جحش وخرجا معًا مهاجرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وكما هو معروف أن الحبشة في عهد النجاشي كانت هى المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم ؛ فإذا هم يجدون فى - ظل النجاشي - رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيماني ، جعله يرحب باتباع النبي الجديد الذى تم التبشير بمقدمه فى كتبهم على لسان عيسى بن مريم- عليه السلام - كما تحدث القرآن عن ذلك فى صورة الصف فى قوله : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) ³⁷ لكن أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت وحدها التى تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة ، ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله فى النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت فى محنة مضاعفة : محنتها فى زوجها الذى ارتد وخان.. ومحنتها السابقة مع أبيها الذى فارقت مغاضبة إياه فى مكة منذ دخلت فى دين الله (الإسلام).. وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التى كانت تنتظرها والتى رزقت بها من بعد وأسمتها " حبيبة " .. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن !! لكن عين الله ثم عين محمد صلى الله عليه وسلم سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسر العين ويهون الخطب ، وعادت بنت أبي سفيان تحمل كنية جديدة ، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه أو الحق أقول : لقد كان نجاشي الحبشة من خلص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبي سفيان بصفة خاصة ، فأنفذ فى أمرها مما بعث به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها له ، وكانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة بنت أبي سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة فى الغربية ، عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، وعوضتها عن غضب الأب " أبي سفيان " برعاية الزوج الحانى الكريم صلوات الله عليه ، كما كانت هذه الخطبة فى مردودها السياسى . لطمة كبيرة لرأس الكفر فى مكة أبي سفيان بن حرب الذى كان تعقيبه على زواج محمد صلى الله عليه وسلم لابنته هو قوله: " إن هذا الفحل لا يجدع أنفه " ؛ كناية عن الاعتراف بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر ، كان هذا الاعتراف من أبي سفيان بخطر محمد صلى الله عليه وسلم وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون : تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح ، فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . وتقدم أحد الصحابة

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فها جعلت له ما يحل عقده ويسكن حقه وغيظه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخي الحضاري العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه :

* من دخل داره فهو آمن.

* ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

* ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن³⁸

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وفي مناخ النصر العظيم.. كانت هي سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم ، تلکم هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها في أعز مكان من بيت النبوة .

الزوجة التاسعة : ميمونة بنت الحارث الهلالية أرملة يسعدها أن يكون لها رجل :

آخر أمهات المؤمنين.. توفي عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري ؛ فانتهت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حيث بنى بها الرسول . في " سرف " قرب " التنعيم " على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها .

وقيل : إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَاللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)³⁹

كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه .

الإساءات في العصر الحديث :

آيات شيطانية : سلمان رشدي

في العصر الحديث صدرت الكثير من المطبوعات التي طعنت في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أبرزها هي رواية آيات شيطانية للروائي البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي والذي صدر في لندن في 26

³⁸ رواه البخاري - فتح الباري - " كتاب المغازي "

³⁹ سورة الأحزاب : الآية 50

سبتمبر 1988م ، بعد 9 أيام من إصدار هذا الكتاب منعت الهند سلمان رشدي من دخول بلاده وتلقت دار النشر التي طبعت الكتاب الآلاف من رسائل التهديد والاتصالات التلفونية المطالبة بسحب الكتاب من دور بيع الكتب .

قامت بنغلاديش والسودان وجنوب أفريقيا وكينيا وسريلانكا وتايلاند وجمهورية تنزانيا المتحدة وإندونيسيا وفنزويلا وسنغافورة بمنع الكتاب وخرجت مظاهرات تنديد بالكتاب في إسلام آباد ولندن وطهران وبومبي ودكا وإسطنبول والخرطوم ونيويورك ، حصلت خلال عمليات الاحتجاج هذه حادثتين لفتتا أنظار العالم وهي حادثة حرق أعداد كبيرة من الكتاب في برادفورد في المملكة المتحدة في 14 يناير 1989م والحادثة الثانية هي صدور فتوى من الخميني في 14 فبراير 1989م بتحليل دم سلمان رشدي وهاتان الحادثتان لقيتا تغطية واسعة من قبل وسائل الإعلام الغربية وفيها تم اتهام المسلمين بالبربرية وعدم السماح لحرية التعبير .

إساءة صحيفة دانمركية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

في سبتمبر 2005م قامت صحيفة دانمركية مشهورة يولاندس بوستن بإقامة مسابقة لرسم كاريكاتير للنبي محمد وقامت الصحيفة باختيار 12 رسمة من الرسوم المرسله وفيها استهزاء وسخرية من النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأحداها تظهر النبي وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل ، وقد حاولت الجالية الإسلامية وقف الصور لكن الجريدة رفضت ، وكذلك الحكومة أيدت الجريدة بحجة حرية التعبير ، فقامت الجالية الإسلامية بتنظيم حملة وجولة في العالم الإسلامي للدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وقامت العديد من الدول الإسلامية باستنكار الحدث وحدثت بعض الاجراءات الدبلوماسية والدعوة لمقاطعة المنتجات الدانمركية بتحركات شعبية .

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بدأت موجة جديدة وصفها البعض بموجة منظمة للإساءة إلى شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل الأمر إلى سكرتير الأمم المتحدة العام كوفي عنان في 7 ديسمبر 2004 بالإشارة إلى تفشي هذه الظاهرة بحدّة ، ثم محاولات وتنفيذ إحراق المصحف الشريف ، وإنتاج الأفلام الفاضحة ، ومازالت الحملات تخبو لتنهض أكثر شراسة .

إساءة فرنسا للرسول صلى الله عليه وسلم :

انتشر موضوع الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم مؤخراً في فرنسا (أكتوبر 2020م) بعدما قام أستاذ تاريخ يبلغ من العمر 47 عاما بعرض رسوم كاريكاتيرية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم خلال حصة دراسية في إطار نقاش حول حرية التعبير، وهو ما أعقبه شكاوى من بعض الأهالي.

وقد قام أحد الطلاب في الحصة الدراسية بقتل المدرس في الشارع وقد انتشرت العديد من الفيديوهات التي أظهرت عملية قتل المدرس في الشارع، وتم توقيف خمسة أشخاص آخرين في إطار الاعتداء من بينهم والد أحد التلاميذ في المدرسة، وقد عبر الوالدان عن اعتراضهم لقرار المدرس بعرض هذه الرسوم الكاريكاتير.

وقد أعلنت مصادر قضائية أن المهاجم المشتبه به هو شاب بعمر الثامنة عشر من أصل شيشاني، وقد وصف الرئيس الفرنسي ماكرون هذا الاعتداء بأنه هجوم إرهابي إسلامي ، وقد أطلقت الشرطة النار على المهاجر وقد قضى وقت لاحق متأثراً بإصابته ، وقد قالت الشرطة أن الضحية هو معلم اسمه صامويل .

وقد شكلت هذه القضية صدمة للشعب الفرنسي نظراً لطبيعة القضية وحيثياتها، وقد تجمع الآلاف في العاصمة الفرنسية باريس للتنديد بهذه الجريمة والتمسك بحرية التعبير وانتقاد الأديان ، معبرين عن تقديرهم للأستاذ الذي يؤدي واجبه كمدرس.

ماذا قال ماكرون (رئيس فرنسا) عن الإسلام :

قالت صحيفة رأي اليوم اللندنية على صفحتها الرئيسية أنه منذ أن جاء الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في قصر الإليزيه وشغله الشاغل التناول على الدين **الإسلامي** بشكل مستفز وغير مسبوق، وهو ما يبين قيام ماكرون بالتفريق بين الإسلام المعتدل والمتطرف، ويتبنى ماكرون سياسة تصنيع الخوف والاستثمار الانتخابي في الإسلاموفوبيا مقابل تراجع شعبيته في أوساط الراي العام الفرنسي في الآونة الأخيرة.

القيم العالمية لا تقبل إهانة المقدسات ، فإذا كانت فرنسا تحترم الإسلام فلا تشرّع الإساءة لنبى المسلمين . ، وإلا فالخوف أن ذلك يحفز الإرهابيين ويعطيهم الدافع للجوء الى العنف كوسيلة للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام ، فلا بد من وقف هذا التهور ليعيش الجميع بسلام ، فالفرق كبير بين حرية التعبير وبين إهانة المقدسات⁴⁰.

الخاتمة :

بعد استعراضنا لمولده صلى الله عليه وسلم والعلامات التي صاحبت مولده وكانت خارقة للعادة ومعرفة أصحاب الديانتين اليهودية والمسيحية لها ، كذلك نشأته في بادية بني سعد ، ومن تحليلنا لنموذجي الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد الصحابة رضوان الله عليه في إدارة حوار ناجح ومحقق لغايته ، عرفنا ما هي عوامل نجاحهم في ذلك . ثم تم استعراض الشبهات التي تثار حول الاسلام بصورة عامة وحول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة ، فقد لازمت الاسلام منذ صدر النبوة وتفنن القرشيين من المشركين في الإساءة والتنكيل ، ثم تواتر سنة إثارة الشبهات وأخذت أشكالاً حديثة ، وركزت على شخص النبي عليه الصلاة والسلام ، فأثير موضوع تعدد زوجاته وكثرتهم وفهمهم على أنه شهوانية محضة وما ورد في رد هذه الشبهة يصلح كمادة دسمة لتوضيح الحقائق والحكم من ذلك وإذا تحلى الدعاة والمسلمين المحبين لرسولهم بسعة الصدر ومعرفة فن إدارة الحوار ، أما ما تبناه بعض الكتاب والفنانين من تسخير مواهبهم - من تأليف للكتب وتنفيذ الرسومات وإخراج الأفلام ثم مروراً بإحراق المصحف من أناس ينتمون للكنيسة - في الإساءة للإسلام ونبية الكريم ، فلم يكن شراً كله فقد نبه الغافلين من المسلمين- خاصة الذين يعيشون في مجتمعات المسيئين - نبههم الى ما يحاك

⁴⁰ رؤيا الاخباري - 25 اكتوبر 2020م

ضد دينهم ولأن التحديات تشحذ الهمم فقد هب المسلمون واستيقظت غيرتهم على معتقداتهم ، فكانت ردة فعلهم عنيفة وتعبيرهم شجاع وجري ، وجعلت كثير من العقلاء سواء أكانوا حكومات أو أفراد يقفون معهم بإدانة هذا الجرم الشنيع ، لكن يظل في الوقت نفسه إصرار المتعصبين ضد ديننا وقيمنا ويدرجون الأمر داخل إطار حرية التعبير ، وهذا يتطلب منا تفعيل ملكة الحوار عند كل واحد منا واستغلال الحدث لصالحنا فكم من ملايين كانوا لا يعبأون بأمر الأديان ، ولكن هذه الضجة أثارت تساؤلهم وفيهم المؤثرون من الناس ، لعلها فاتحة لنا لنوصل سماحة إسلامنا للعالم بأثره مع التركيز بأننا لا يمكن أن نرد على الإساءة بمثلها لأن ديننا يحرم ذلك ولعلها فرصة قد لا تتكرر .

النتائج :

- ❖ إن الإساءة وحدث مشاعر المسلمين وقربت بينهم .
- ❖ إن التعرض للإسلام والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم قديم بدأ مع بدء الدعوة .
- ❖ الإساءة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت فردية لكسر الحاجز ، ثم أخذت طابعاً منظماً .
- ❖ إن الإستهوان الذي ينظر به أعداء الإسلام للمسلمين ، لم يضع في حساباتهم قوة ردة الفعل التي عكبت أول محاولة للإساءة ، وكانت أكبر من توقعاتهم .
- ❖ استفاد الدعاة من هذا الحدث وتوظيفه لصالح الإسلام مثل الدعوة لمقاطعة الدول التي تبنت الإساءة أو ناصرتها ، مما قلل منها .
- ❖ كان التعبير عن غضب المسلمين عنيفاً نوعاً ما ، إذ أنه اعتمد على المظاهرات وحرق السفارات ورسالات التهديد ، وكان بعيداً عن ضبط النفس والحوار .

التوصيات :

- ❖ استغلال وحدة وتقارب المسلمين إبان أحداث الإساءة في شحذ همم الشباب للدفاع عن دينهم .
- ❖ تبني برامج عملية لإكساب الدعاة والشباب ملكات اللغة والتعبير وإدارة الحوار .
- ❖ توعية الآباء والمعلمين بترسيخ ثقافة الحوار في نفوس الناشئة .
- ❖ جعل الحوار قناعة راسخة وأنه أمضى سلاح في التعامل مع أعداء الإسلام .
- ❖ تدريب الدعاة على اليقظة والانتباه للأحداث والظواهر وتوظيفها لصالح الإسلام .
- ❖ استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقيمنا السمحة وتقديمها مصحوبة بالمقارنة مع تناقضات المجتمعات غير المسلمة .

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

ابن حبان ، محمد . 1408 هـ - 1988 م . صحیح ابن حبان . بيروت : مؤسسة الرسالة .
ابن منظور ، محمد بن مكرم . 2003م - 1424 هـ . لسان العرب . بيروت : دار الكتب
العلمية .

ابو فارس ، محمد عبد القادر . 1418 هـ - 1997 م . السيرة النبوية . الاردن : دار الفرقان
للنشر والتوزيع .

البخاري ، محمد بن اسماعيل . 232 هـ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى
الله عليه وسلم . القاهرة : طبع السلفية .

البستاني ، بطرس . 1987 م . محيط المحيط . بيروت : مكتبة لبنان .

بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن . 2007 م . تراجم سيدات بيت النبوة . القاهرة : دار الحديث .

الترمذي ، محمد . 1400 هـ - 1980 م . سنن الترمذي . بيروت : دار الفكر .

حمد النيل ، يوسف . 1424 هـ - 2003 م . عوامل نجاح الداعية . الخرطوم : دار الاصاله
للصحافة والنشر والانتاج الاعلامي .

دون مؤلف . د . ت ، . طفولة الرسول ودلائل النبوة . 6 ص . رسول الله .

www.rasoulallah.net

دينيه ، ايتين . 1958 م . محمد رسول الله . ترجمة د . عبد الحلیم محمود ومحمد عبد الحلیم محمود .

الغضبان ، منير محمد . 1427 هـ - 2006 م . المنهج الحركي للسيرة النبوية . مصر : دار
الوفاء للطباعة والنشر . والتوزيع ، ص 56 .

المباركفوري ، صفي الرحمن . 1422 هـ . الرحيق المختوم . السعودية : اولي النهى للإنتاج
الاعلامي .

مسلم ، بن الحجاج . 1415 هـ - 1994 م . *الجامع الصحيح* . القاهرة : دار الحديث .
النيسابوري ، محمد . 1418 هـ - 1998 م . *المستدرک علی الصحيحین* . جدة : دار المعرفة
للنشر والتوزيع .